مفكرة

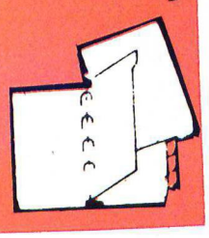

اشرعة تصد رياح القهر

البربرية ، الوحشية ، لذة القتل .. هذه اهم الوان اللوحة التي ترسمها ريشة الطوائف ، لا ريشة سلفادور دالي . منذ الطلقة الاولى وانا شاهد على هذه الحرب، حتى كادت ذاكرتي تنفجر . في المتين كانت قدماي ترتطمان بالجثث المحروقة ، وفي الفنادق ، وعين الرمانة .. عام ونصف ونيف : موسيقاي اصوات الرصاص والقذائف والانفجارات ، نزهتي بين الخرائب والرعب .. طعامي لحم الجوع ، او ما يتيسر من فتات الماسكين بزمام الامور ...الايام كانت تمر ، كأشرطة افلام الرعب والاغتصاب والسادية .. والافيون : قدس الاقداس : قناع الخناجر والقذائف : كان سيد الموقف والامر والناهي :

- ١ -

الصراصير ، النمل ، البعوض .. هذه المخلوقات ، تعج بها الشوارع والازقة وغرف النوم . لم يكن سرب النوارس مخطئا حين هاجر عن بحر ، شواطئه اقفرت من اجساد عاشقين يسبحون واطفال يغتسلون بزبد الموج واشعة شمس الصيف لتستوطنها جثث المخطوفين !

انما كان مخطئا حين اصر ان يحلق فوق المدينة التي انفتحت سماؤها طرقات تعبر منها الطلقات والقذائف والصواريخ .

الان نزه عينيك ايها الناجي من الموت في لبنان ، بين جثث النوارس التي استحالت صراصير ونملا وبعوضا .. لترى صاحب الوجه القبيح .. مصاص الدماء .. وافعاله الشنيعة!

- ٢ -

افقنا صباح يوم ليس بالقصي على طلقات تفجرت ، وتغلغل صوتها في الاذان الناهضة من هسيس الاسرة . وقفنا على الشرفات المزركشة باثار قذائف راجمات صواريخ عرين دمشق. وخلف سور السجن الذي ضم الى جامعة بيروت العربية ، كانت الضحية ترتدي قميص الدم . كما تعلمون لا يبعد المستوصف خطوات عن الجسد النازف ، ولكن لم يجرؤ احد على الاقتراب . عيناه فقدتا القدرة على بريق الاستغاثة . وظل ينزف ويتلوى حتى تكوم . فأنكفأنا الى غرفنا نغلق النوافذ كي لا يتسرب ظل الجثة الى موائد الافطار ، ونبلل حناجرنا التي جفت برشفات قهوة الحرب المرة ؟!

- ٣ -

كانا يحلمان بنشيد الفرح لبتهوفن ، ويتمتمان بألحان اغنيات فيروزية ، وبين اشجار الحرش كانا يتناجيان ، يضحكان ، ويهمسان ، واصابعهما متشابكة ، وهالة العشق المقدس تغلف اجنحتهما التي يفران بها من بؤس ورعب الحرب الى خضرة المستقبل . فجأة احاطت بهما افواه البنادق الحاقدة ، بنادق الايديولوجيا الدينية ، مادة اغصانها القمعية اللئيمة . احد الاشباح يدلق فوقهما سطل نفط سعودي ، تهب النيران حارقة جسديهما ، ومبخرة احلامهما ، والعيون المجرمة تشع لذة ببشاعة المنظر ، الجسدان يتعانقان ، كلاهما يهفو صوب الاخر يطفئه ، يندفع نحوها ، وتندفع نحوه ، وينطفئان فوق عشب اصفر ، لكن رمادهما سيمد جذوره في اعماق السنوات القادمة ، وستحصد الاجيال المقبلة سنابل الحنظل !

★ ★ ★

صيدا ، ايتها الاشرعة الهازمة رياح القهر ، تل الزعتر ايتها القلعة المحطمة فيلة الامبريالية ونمورها واسودها وفهودها .. من مزبلة التاريخ تدفقت الافاعي صفراء جبانة . ايتها البنادق الثورية لن ينتصر الفقراء الا بسحق الحشرات الرجعية . لن يطلع فجر لبنان العربي الديمقراطي الا على انقاض العالم القديم .

بقلم : هادي دانيال